الدرس (٠٢٩) من شرح رياض الصالحين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإننا لا نزال في باب التوكل واليقين من كتاب رياض الصالحين للنووي رحمه الله تعالى.

يقول المصنف أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى:

٧٦- (الثَّالِث: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَيْضًا، قَالَ: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]». رواه البخاري.

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ»[(١)]).

هذا الحديث فيه أنَّ التَّوكُّل واليقين هو سمة الأنبياء، وأنَّهم في أحوالهم كلِّها، يفزعون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ويلتجؤون إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده.

وذِكْرُ ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لذلك في خليلي الرَّحمن إبراهيمَ ومحمَّدٍ عليهما صلوات الله وسلامه على جميع النبيين، ليَتأسَّى بهما العباد في الدُّعاء والتَّوكُّل والالتجاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومعلومٌ أنَّ الأنبياء أشدُّ النَّاس بلاءً، ثمَّ الأمثل فالأمثل، ومَن اعتنى بقراءة أخبار الأنبياء وسيرهم العظيمة أعين على التأسي بهم والسير على نهجهم.

---

(١) رواه البخاريُّ (٤٥٦٣)، (٤٥٦٤).

وكلمة: (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ)، كلمة استعانة وتوكُّل والتجاء إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ معنى: (حَسْبُنَا اللهُ)، أي: كافينا، والحسيب من أسمائه تَبَارَكَوَتَعَالَى الحسنى، ومعناه: الكافي. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطَّلاق:٣]، أي: كافيه، (وَنِعْمَ الوَكِيلُ)، أي: نِعْم مَن يُتوكَّل عليه ويُلتجأ إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

وهذه الكلمة يشرع للمسلم أن يقولها في مقام دفع الضَّرَّاء، كما هو في هذا السِّياق، وأن يقولها كذلك في مقام جلب النَّعماء، فيقول في هذين المقامين: حسبنا الله ونعم الوكيل، في مقام دفع ضرٍّ وبلاءٍ نزل، أو مقامِ جلبِ نعماءٍ وخيرٍ وبركةٍ يرجو أن ينالها ويظفر بها.

فهذه الكلمة ذُكرت في كتاب الله جَلَّوَعَلَا في مقام طلب المنافع، وفي مقام دفع المضارّ:

فمِن الأوَّل: قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التَّوبة: ٥٩].

ومن الثَّاني: قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤].

وجُمِعَ الأمران في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزُّمر:٣٨]. فقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾، أي: في جلب النَّعماء، ودفع الضُّرِّ والبلاء.

وإبراهيم الخليل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قالها حين أُلقي في النَّار، قالها ملتجئًا إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى وحده، وقد أُلقي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في النَّار، وهو أفضل عباد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في زمانه، بل أفضلُهم على الإطلاق بعد نبيِّنا عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وابتلي هذا الابتلاء العظيم، أنَّ قومه أجَّجوا نارًا عظيمةً، حتَّى إنَّهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى النَّار ليضعوه فيها، فألقوه بآلةٍ من مسافةٍ بعيدة، فقال الله للنَّار: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]. فكانت كذلك.

(وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾): وهذا قاله النَّبيُّ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وقاله الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ معه ﷺ في غزوة

حمراء الأسد، في اليوم الَّذِي يلي يوم أُحُد، عندما أمر النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الصَّحابة أن يخرجوا معه لإدراك المشركين، وأمر ألَّا يخرج معه إلَّا مَن شارك في غزوة أحد، فاستجاب الصَّحابة رضي الله عنهم مع أنَّهم قد أصابهم القرح، وكانوا في شدَّةٍ عظيمة، ومع ذلك استجابوا وخرجوا، ومنهم مَن خرج بدمائه، خرجوا مستجيبين لله ولرسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ [آل عمران:١٧٢].

ولمَّا قيل لهم: إنَّ المشركين قد جمعوا لكم، أي: لاستئصالكم وللقضاء عليكم، وأعَدُّوا لذلك العُدَّة، قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٧٤].

وهذا فيه: أنَّ مَن يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، يُخَلِّصه الله من كُلِّ شدَّة، ويُنجِّيه من كُلِّ كربٍ.

فإبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: حسبنا الله ونعم الوكيل حين ألقي في النَّار، تلك النَّار العظيمة المحرقة، فقال الله للنَّار: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾، والنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والصَّحب الكرام، قالوا هذه الكلمة حين قال لهم النَّاس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ فكان الأمر كما قال الله: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾.

وهكذا؛ كُلُّ مَن اتَّبع الأنبياء، وسار على نهجهم في الالتجاء إلى الله عَزَّوَجَلَّ في الشَّدائد، والفزع إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الكربات، من مرضٍ، أو فقرٍ، أو ابتلاءٍ، أو غير ذلك، فإن الله يُنجِّيه من كُلِّ كرب، ويعافيه من كُلِّ بلاء.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٧٧- (الرَّابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٢].

قيل: معناه مُتَوَكِّلون، وقيل: قلوبهم رَقيقَةٌ).

---

(٢) رواه مسلم (٢٨٤٠).

هذا الحديث ساقه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لما فيه من بيان حال أقوامٍ يدخلون الجنَّة، بكون أفئدتهم أصبحت مثل أفئدة الطَّير، وكما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، إمَّا لقُوَّة التَّوكُّل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد جاء في الحديث: «**لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُوا خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»(٣)، وإما لكون قلوبهم رقيقةً، بسبب قُوَّة الإيمان، والخوف من الله، وإقبال قلوبهم على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٧٨- (الْخَامِس: عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُمْ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاه، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللهُ** -ثَلَاثًا-» وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٤).

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ جَابِرٌ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِذَاتِ الرِّقَاعِ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَسَيْفُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ قَالَ: «**لَا**» فَقَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «**اللهُ**».

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيلِيِّ فِي «صَحِيحِهِ»، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللهُ». قَالَ: فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السَّيْفَ، فَقَالَ: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**». فَقَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ. فَقَالَ: «**تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟**» قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَأَتَى أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ.

---

(٣) رواه التِّرمذيُّ (٢٤٩٨)، وابن ماجه (٤١٦٤).

(٤) رواه البخاريُّ (٢٩١٠)، (٤١٣٦)، ومسلم (٨٤٣).

قَوْلُهُ: «قَفَلَ» أَيْ رَجَعَ، وَ«الْعِضَاهُ»: الشَّجَرُ الَّذِي لَهُ شَوْكٌ، وَ«السَّمُرَةُ» بفتح السِّين وضمِّ الميم: الشَّجَرَةُ مِنَ الطَّلْح، وهيَ العِظَامُ مِنْ شَجَرِ العِضَاهِ، وَ«اخْتَرَطَ السَّيْف» أي سلَّه، وَهُوَ فِي يدِهِ. «صَلْتا» أي مسلولًا، وَهُوَ بفتحِ الصَّادِ وضَمِّها).

هذا الحديث حديثٌ عظيمٌ في قوَّة التَّوكُّل على الله، وعظم الثِّقة به، وحسن الالتجاء إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا الرَّجل المشرك، استلَّ سيف النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ورفعه صلتًا، أي: تجهز لأن يضرب بالسَّيف، وكان النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نائمًا، فاستيقظ ورأى أمامه هذا الرَّجل، بيده السَّيف مسلولًا، قد رفعه وتهيَّأ لأن يضرب به، فقال مخاطبًا النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟) فقال: «اللهُ» قالها ثلاث مرَّاتٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أي: الله هو الَّذِي يمنعني منك، فتوكَّل ﷺ على الله، ولجأ إليه سبحانه فكفاه .فسقط السَّيف من يد الرَّجل، كما جاء في رواية أبي بكر الإسماعيليِّ في صحيحه، أي: بعد أن قال النَّبِيُّ ﷺ: «الله» أي: يمنعني منك، سقط السَّيف مباشرة من يد ذلك الرَّجل المشرك، ولم تصبح يده تقوى على حمله.

فقام عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأخذ السَّيف وقال له: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» فأخذ يتوسَّل ويرجو، وقال: كن خير آخذ! وكما جاء في الحديث لم يعاقبه النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهذا من حلم النَّبِيِّ ﷺ ولطفه، وعرض عليه الإسلام، قال: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ» فأبى أن يسلم، ولكنَّه عاهد النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ألَّا يقاتله، وألَّا يشارك مع قومٍ يقاتلونه، فخلَّى النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سبيله، وذهب الرَّجل إلى قومه، وقال: (جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ)، لما رأى من هذه المعاملة اللَّطيفة منه صلوات الله وسلامه عليه، مع أنَّ هذا الرَّجل قد كان عزم على أن يقتل النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، واستلَّ سيفه فعلًا، ورفعه ليقوم بذلك، إلَّا أنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عفا عنه وتركه ولم يعاقبه، وهذا مقام آخر من المقامات العالية ، وهو العفو، وكان ذلك من أخلاقه الكريمة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، في عدم انتقامه لنفسه، فعفى عنه، وتركه ينصرف، لشدة رغبته صلى الله عليه وسلم في استئلاف الكفار ليدخلوا في الإسلام، فذهب إلى قومه، وذكر لهم الأخلاق العظيمة الَّتِي كان النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يتحلَّى بها، ووصفه بهذه

الصِّفة، قال: (جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ)، وكما قيل: الفضل ما شهدت به الأعداء.. فهذا رجل معاد، وكان يريد أن يقتل النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وشهد بهذه الشَّهادة، قال: (جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ)؛ لما رآه من أخلاق النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكريم تعامله، وقد روي أنه أسلم وأنه لما رجع إلى قومه اهتدى به خلق كثير.

وفي الحديث بيان شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم، قال أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- أَحْسَنَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِى طَلْحَةَ عُرْيٍ فِى عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ « لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا ».

وفيه كذلك حسن توكله صلى الله عليه وسلم على الله وصدق يقينه وثقته بالله وإظهار معجزته وبيان جميل عفوه وصفحه عمن قصده بسوء.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٧٩- (السَّادِس: عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(٥)، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ».

معناه: تَذْهَبُ أَوَّلَ النَّهَارِ خِمَاصًا: أي ضَامِرَةَ البُطُونِ مِنَ الجُوعِ، وَتَرجعُ آخِرَ النَّهَارِ بِطَانًا. أَي مُمْتَلِئَةَ البُطُونِ).

هذا حديثٌ عظيمٌ في باب التَّوكُّل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وحسن الالتجاء إليه، فنبيُّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ**» وحقيقة التَّوكُّل كما سبق تفويضُ الأمر بصدق ويقين إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مع بذل الأسباب، ولهذا قال في الحديث: «**لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ**» ثمَّ أخبر عليه الصلاة والسلام أنَّ الطَّير لا تبقى في عشِّها أو

---

(٥) رواه التِّرمذيُّ (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وصحَّحه الألبانيُّ.

وكرها، تنتظر أن يأتيها الطَّعام فيه، بل إنَّها تذهب في الصَّباح الباكر في أوَّل النَّهار، «خِمَاصًا» أي: جائعةً، وترجع في آخر النهار «بِطَانًا» أي: ممتلئة شبعة، فهي قد بذلت الأسباب.

وهذا يفهم منه: أنَّ حقيقة التَّوكُّل اعتماد القلب على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع بذل السَّبب، أمَّا أن يترك السَّبب مُتَوَكِّلًا، فهذا حقيقته كما بيَّن أهل العلم تواكُل، وليس بتوكُّل، فالمُتَوَكِّل حقًّا هو الَّذِي يبذل السَّبب ويفوض أمره إلى الله، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»(٦).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "هذا الحديث أصل في التوكل ، وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق ، قال الله – عز وجل – : { ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه }.

قال بعض السلف : بحسبك من التوسل إليه أن يعلم من قلبك حسن توكلك عليه ، فكم من عبد من عباده قد فوض إليه أمره ، فكفاه منه ما أهمه ، ثم قرأ : { ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب } ، وحقيقة التوكل : هو صدق اعتماد القلب على الله – عز وجل – في استجلاب المصالح ، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها ، وكلة الأمور كلها إليه ، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه" .

ثم قال رحمه الله: "واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها ، وجرت سنته في خلقه بذلك ، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل ، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة لله ، والتوكل بالقلب عليه إيمان به".

هذا، ونسأل الله جل في علاه أن ينفعنا أجمعين بما علمنا، وأن يزيدنا علمـًا وتوفيقـًا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطـًا مستقيمـًا؛ إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(٦) رواه مسلم (٢٦٦٤).